اللّسانيات الاجتماعيّة لجان لويس كالفي ونقد لآراء كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة المنسوب إلى فرديناند دي سوسور

Sociolinguistics; a critical study of the general linguistics course dedicated to FERDINAND DE SAUSSURE by JEAN LOUIS CALVET

حياة خليفاتي [1]*

[1] جامعة مولود معمريّ، تيزي-وزّو (الجزائر)، hayat.khelifati@ummto.dz

تاريخ الاستلام: 30-04-2023 تاريخ القبول: 04-05-2023 تاريخ النشر:08-06-2023

مُلخّص البحث

نأتي في هذا المقال إلى دراسة الانتقادات التي قدّمها جان لويس كالفين وإلى الآراء التي عرضها لنا في كتابه المعنون بـ: مع وضد سوسير؛ حتّى نبيّن أهمّ الانتقادات التي وجّهها كالفي حول اللسانيّات االحديثة وحول آراء فرديناند دي سوسور للثّنائيّات اللغوية التي طرحها في كتابه المنسوب إليه (سوسور) محاضرات في اللسانيّات العامّة نحو محاولة كالفي الاتّجاه نحو دراسة اللّغة في إطارها الاجتماعيّ. وتكمن هذه الآراء إلى تأسيس اللسانيّات الاجتماعية بالوقوف على آراء وليام لابوف، وويتني، وفيشمان وغيرهم ليبيّن لنا أنّ اللّغة ليست مجرّد نظام من البنى المغلقة التي تتركّز عليها، بل هي قابلة للتّحليل والدّراسة من منظور اللسانيّات الاجتماعيّة.

كلمات مفتاحية: اللسانيّات؛ نقد اللسانيّات؛ اللسانيّات الاجتماعيّة؛ سوسور، جان ويس كافي.

Abstract:

This article presents a critical and sociolinguistic study of JEAN LOUIS CALVET in the book : for and against DE SAUSSURE: or towards a sociolinguistic approach; which reveals the studies made by LABOV, WITNEY, FISHMANN and others. The aim is to constitute the concept of language in the social context by negating the notion of the structural study of language in itself.

Keywords: linguistic; critical linguistic; sociolinguistic; SAUSSURE; JEAN LOUIS CALVET.

* المؤلف المرسل: حياة خليفاتي

1.مقدمة:

تتجلّى السّجلات اللّسانية الحديثة المنتشرة في العالم الغربي وفي العالم العربي في مجمل الخلافات والآراء النّقدية التي ظهرت بعد ظهور كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة في عام 1916م؛ والتي شكّلت ثورة علميّة قويّة بين اللّسانيّات الأروبيّة وبين اللّسانيات الأمريكيّة والأنجلوساكسونيّة التي توصّلت إلى وضع أسس ومبادئ ومناهج لسانيّة لم يكن هذا الكتاب قد توصّل إليها من قبل. فهناك من العلماء من أيّد آراء هذا الكتاب وهناك من انتقدها على أسس منهجيّة متباينة وفق المقاربات العلميّة التي تقوم عليها العلوم المجاورة أو مجالات اللّسانيات التي انبثقت مباشرة بعد ظهور كتاب محاضرات في اللسانيّات العامّة المنسوب إلى فردينان دي سوسور؛ والتي اتّجهت اتّجاها مخالفا للسانيّات البنيويّة من حيث النّظريات والمناهج نحو محاولة تحليل اللّغة اجتماعيا في إطار علم يدعى باللّسانيّات الاجتماعيّة. ومن أشهر هؤلاء العلماء على سبيل التّمثيل لا الحصر: فيشمانFISHMANN، لابوفLABOV وبرنستاين BERNESTEIN وأنطوان ميي ANTOINE MEILLET ولويس كالفي J.L.CALVET وغيرهم من الغرب، وكذا علماء العرب: كمحمّد شفيق، وعبد القادر الفاسي الفهري وحسن حمزة، ومحمّد يحياتن ومحمود السّعران، وعلي القاسمي الذين اهتمّوا بدراسة اللّغة من منظور اجتماعيّ محض.

ونأتي في هذا المقال إلى دراسة آراء كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة والانتقادات التي وجّهت لدى علماء الغرب وبخاصّة جان لويس كالفي في كتابه "معا أو ضد سوسير: نحو تأسيس اللسانيّات الاجتماعيّة" الذي ناقش قضايا اللسانيّات الحديثة التي عُرضت في كتاب محاضرات في اللسانيّات العامّة المنسوب إلى سوسير من حيث مفهوم اللّغة والثّنائيّات السّوسوريّة؛ وبخاصّة قضيّة اعتباطيّة الدّليل اللغويّ وتحديد مفهومي الدّال والمدلول وتمييزهما، ثمّ عالج مفهوم البنية ومدى علاقتها بالبنية الاجتماعيّة والعوامل المؤثرة في اللّغة. وهكذا حاولنا أن نقف عند هذه الآراء النقديّة التي تؤيّد تارة آراء سوسير وتعارضها تارة أخرى حسب الحجج التي يقدّمها كلّ رأي نقدي أراد من خلاله أن يتّجه نحو تأسيس اللسانيّات الاجتماعيّة مقدّما آراء العلماء الذين نهجوا نهج هذا العلم الجديد الذي يخدم مجال اللسانيّات التطبيقيّة التي تبحث عن حلّ مشكلات اللّغة في الميدان، وفي الواقع الاجتماعيّ خاصّة. وفي هذا الصّدد، يقتضي بحثنا طرح الإشكاليّة الآتية: فيم تتجلّى الآراء النّقدية للسانيّات العامّة من خلال كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة؟ وهل تشكّل اللّسانيّات الاجتماعيّة نقدا لآراء هذا الكتاب حسب جان لويس كالفي؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليّة، قسّمنا المقال إلى العناصر المصنّفة في المتن مع وضع النّتائج في الخاتمة.

2-الانتقادات الموجّهة لكتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة المنسوب إلى ف.د.فردينان دي سوسور (1857-1913م):

يعتبر كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة كتابا علميّا منسوبا إلى العالم الأروبي فردينان دي سوسور الذي حاول أن يضع النّظريات الشّاملة للغة انطلاقا من الفروع أو التنوّعات اللّغوية المنتشرة في أروبا، وكذا مختلف اللّغات واللّهجات التي تتعايش في رقع جغرافيّة متعدّدة. وجاء جان لويس كالفي في كتابه مع وضد سوسور ليعرض لنا أهمّ الانتقادات العلميّة التي تتجّه نحو تأسيس اللسانيّات الاجتماعيّة. ولاستيعاب هده الانتقادات استعانت ببعض الكتب اللسانيّة الأصليّة المكتوبة باللّغة الفرنسيّة، وببعض الكتب اللسانيّة التي ترجمها الباحثون العرب إلى اللّغة العربيّة؛ وعلى سبيل المثال ترجمة يوسف غازي ومجيد النّصر، ومحمود السّعران وغيرهما. كما نؤكّد على ضرورة الاستعانة بكتب اللسانيّات الاجتماعيّة للمتخصصين: فشمان ولابوف...الخ.

أحاول أن ألخصّ ما جاء به سوسور من قضايا لسانيّة في كتابه محاضرات للسانيّات العامّة في الكتاب المترجم ليوسف غازي حيث استُهِلّ الكتاب بمقدّمة وخمسة أجزاء، وعدد صفحاته مئتين وسبعة وثمانين صفحة (287) صفحة من الحجم المتوسّط، وهو من ترجمة يوسف غازي ومجيد النّصر[1]. ويتّصف هذا الكتاب بترجمات عديدة من اللّغة الفرنسيّة إلى اللّغة العربيّة لدى الباحثين العرب مثل: علي عبد الواحد وافي، محمود فهمي حجازي، رمضان عبد التّواب وغيرهم؛ وحتّى التّرجمات تختلف من باحث إلى آخر لاختلاف المصطلحات والمفاهيم.

الشّكل 1: عرض آراء سوسور اللسانية في كتاب CLG

تناول المؤلّف في المقدّمة من كتاب محاضرات في اللسانيّات العامّة قضايا هامّة تتعلق باللّسانيات، مادّتها ومبادئ علم الأصوات، ومفهوم الفونيم. وبعد المقدّمة تحدّث في الجزء الأوّل عن طبيعة العلامة ثمّ اللّسانيات الآنية واللّسانيات التطورية، حيث قدّم مفاهيم حول اللّغة والنّظام والبنية. كما تطرّق في الجزء الموالي إلى الألسنية التزامنية. وفي الجزء الثالث تحدّث عن الألسنية أو اللّسانيات التّزامنية والتّغيرات الصّوتية والتّأثيل. أمّا الجزء الرّابع فتحدّث فيه عن اللّسانيات الجغرافية والتّنوع اللّغوي. وفي الجزء الأخير، تناول مسائل في اللّسانيات الاستعادية وقضايا اللّغة الأكثر قدما وشهادة اللّغة على الأنتروبولوجيا وما قبل التّاريخ.

وأهمّ المشاكل التي يطرحها كتاب محاضرات في اللسانيّات العامّة هي:

2-1-مشكل في فهرسة كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة:

ونظرا لعدم التّوافق بين التّرتيب الزّمني للمحاضرات التي كان يلقيها سوسور على تلاميذته، وبين مراعاة التّرتيب المنطقي لموضوعاتها: استهلّ المؤلّف كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة المنسوب إلى فردينان دي سوسور بمقدّمة لم يكن سوسور قد كتبها هو بنفسه ثمّ تليها الفهرسة التي جاءت حسب ترتيب الموضوعات المرتبطة بتلك المحاضرات. ويلاحظ في هذا الكتاب تداخل تواريخ مختلفة في موضوع واحد؛ ممّا يدل على عدم ضبط التّاريخ المقابل لكلّ موضوع، وعدم تأكّد المحرّرين من تاريخ كتابة المحاضرات في المخطوط، وفي الكتاب ذاته فيقتضي ترتيب الموضوعات لدى المحرّرين ترتيبا تاريخيّا إمّا في المخطوط أو في الكتاب. ونضيف عدم تمكّن الباحثين من دراسة موضوعات الكتاب لعدم تسلسلها الزّمني حيث "حرص فيه على اتخاذ نص دروس في اللّسانيّات العامّة نقطة انطلاق جعل متابعة المصادر الأصول كرونولوجيا أمرا صعب التحقيق لأنّ نظام الإحالة عليها وفق تسلسل مقطوعاتها لا يسمح بقراءتها بشكل مُنتظم ومتتابع لاختلاف أرقام تسلسل موضوعاتها عن تسلسل مقطوعات نص دروس"[2] ويرجع ذلك أيضا إلى الاختلافات الموجودة بين النّصوص المنطوقة شفاهيا وبين ما نقل إلى المخطوط وإلى الكتاب؛ الأمر الذي دفع المحرّرون إلى تنقيح الكتاب بشرح نصوصها وتطويرها "وتأويل أفكارها والتّعليق عليها وإضافة الأمثلة والمفاهيم المفتاحية على غرار مفهوم القوانين الاجتماعيّة التي لا أثر له في المخطوطات"[3] اضطرّ المحرّرون إلى تقديم هذه المحاضرات حسب ما تقتضي لها تلك الوضعيّة من تفصيل المحاضرات التي جاءت على شكل عناوين أو عناصر وأجزاء في المخطوط.

2-2-قضية المنهج في اللّسانيّات الحديثة وفي دراسة اللّغة:

جاء الحديث عن تاريخ اللّسانيات ونشأتها في الكتاب على "أنّها بدأت بما يسمّى القواعد وقال إنّها منحنى معياري، وذكر أنّها دراسة شيّدها الإغريق، تعتمد المنطق بشكل جوهري، وبعدها ظهر فقه اللّغة لدى المدرسة الإسكندرية، التي كانت تهتم بالقضايا اللّغوية ومقارنة النّصوص، وهذه الأبحاث كلّها عبدت الطّريق أمام اللّسانيات التّاريخية"[4]. جاءت اللّسانيات على شكل نصوص قديمة تستنبط منها القواعد التي كانت تدعى بفقه

اللّغة؛ العلم الذي وضعه الإغريق ثمّ تطوّر في العصر الحديث إلى علم اللّغة أي اللّسانيات التي كانت تلجأ إلى استعمال المنهج المعياري الذي يقوم على الاستقراء واستنباط القواعد الصّوتية، والصّرفية، والنّحوية.

2-3-مصدر الكتاب وخلفيّاته:

يرى العلماء الذين درسوا خلفيّات كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة المنسوب إلى فردينان دي سوسور أنّ الكتاب ليس من تأليفه وليست تلك الأفكار من صنعه بسبب الانسجام الذي حصل فيها والاتّساق الذي تتصف بها؛ والتي جاءت بشكل منتظم ومتسلسلة. ويرجع ذلك إلى سببين رئيسيين هما[5]:

أ-المعرفة الدّقيقة والمفصّلة لكتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة وما عرفه المحقّقون من الباحث فردينان دو سوسور: يعدّ تعريف اللّسانيات الذي وضعه تلاميذة فردينان دو سوسور في الكتاب على أنّها "دراسة اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها"[6] ونقصد من هذا التّعريف دراسة اللّغة في كيانها الدّاخليّ باعتبارها نظاما من الدّوال التي تنتظم حسب مستوياتها الصّوتية، والصّرفية، والنّحوية، والتّركيبيّة المترابطة بعضها البعض بواسطة القوانين، والعلاقات السّياقية التي تحيلنا إلى الاتّجاه البنيوي للغة؛ إضافة إلى المستوى الدّلالي الذي لم يول الكتاب أهميّة في هذا الشّأن.

وحدّد سوسور مفهوم اللّسانيات وموضوعها في اللّغات أو اللّغة باعتبار أنّ هذا المفهوم الذي وضعه للسانيات مفهوما ضيّقا لا يخدم اللّغة كموضوع شامل في اللّسانيات؛ لأنّ فردينان دي سوسور تطرّق إلى دراسة عدّة لغات كاللّغات الأروبيّة والهندأروبيّة، وليست لغة واحدة وشاملة. ويبقى هذا الأمر مجرّد رأي يخدم اللّغة في كيانها الدّاخلي فقط.

ب-أمّا السّبب الثّاني فهو ينحصر في اتّجاه ينفي وجود ما يسمّى باللّسانيات الخارجيّة أي ما يعرف بعدم ربط دراسة اللّغة بالعوامل والمؤثرات الخارجيّة ك الأحداث الاجتماعيّة، السّياسية والاقتصاديّة...الخ. وهذا يشير حتما إلى العناية بموضوع البنيوية التي جاءت في هذا الكتاب؛ والتي اتّبعتها المدارس اللّسانية الأروبيّة التي تختلف عن المذاهب البنيوية الأمريكيّة التي نجدها عند إدوارد سابير، وأنطوان ميي، وويتني وغيرهم.

والسّؤال المطروح: هل تحتلّ اللّغة مكانة عالية في تاريخ اللّسانيات العامّة؟ أم العكس؟ وللإجابة عن هذا الطّرح، يقتضي من الباحثين ربط اللّغة باللّسانيات البنيوية التي تظهر أفكارها ناقصة في هذا العلم؛ والتي لا يمكن عزلها عن الانتقادات التي قدّمها لابوف، وكالفي، وفيشمان وغيرهم من العلماء الذين بيّنوا مدى ابتعاد فردينان دي سوسور عن تلك الاتّجاهات الاجتماعيّة التي قدّمها ذلك الكتاب أو أنّها معارضة لأفكاره.

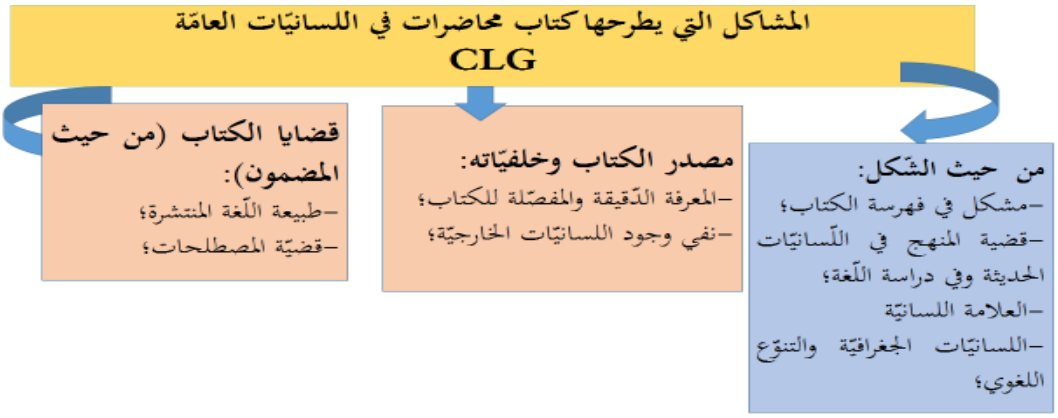

الشّكل 2: مشاكل الكتاب الشكليّة وقضاياه

2-4-قضايا الكتاب:

ومن القضايا التي وردت في الكتاب أيضا هي: طبيعة اللّغة المنتشرة "أنّ مظاهر اللّسان البشري كافّة تمثل مادّة الألسنية، ما يمثل في أشكال التّعبير مجتمعة وما يعين على ذلك النّصوص المكتوبة"[7]. ومن خصائص اللّسانيات أنّها تهتمّ بدراسة لغة البشر المنطوقة التي تمثّل موضوع اللّسانيّات الحديثة.

أمّا بالنّسبة إلى مبادئ علم الأصوات أو التّصويتية، فأهمّ ما تطرّق إليه الباحثون في الكتاب تعريف الصّوتيم أو مفهوم الفونيم على أنّه "مجموعة الانطباعات السّمعية والحركات النّطقية للوحدتين الكلامية والمسموع، اللّتين تشترط إحداهما الأخرى. وتطرّق إلى فعل التّصويت وكيف تنشئ الأعضاء أصواتا، حيث ربط ذلك بالجانب السّمعي. وقال: لا وجود للأصوات من غير الأعضاء الصّوتية، والمقاطع الصّوتية الملفوظة هي انطباعات سمعية تدركها الأذن[8]. تشكّل الأعضاء الصّوتية مصدر خروج الأصوات وتحديد صفاتها.

–قضيّة المصطلحات: تحوّلت "تسميّة المصطلحات التي سجّلها سوسور إلى مصطلحات مغايرة لدى الباحثين الآخرين مثل: تسميّة المفهوم أو التصوّر الذّهني مقابل الصّورة الأكوستيكيّة عند التّلاميذ بتسميّة الدّال والمدلول في الكتاب الذي جاء به بنفينيست لينتقد تلك المصطلحات في عام 1939م"[9]. ويتّضح أنّ المحققين للكتاب استعملوا المفاهيم أو المصطلحات التي وضعت في المحاضرات التي ألقاها سوسور في 19 ماي 1911؛ ممّا يدلّ على أنّ فردينان دي سوسور عاد إلى الوراء ليقترح هذا التّحويل للمصطلحات إلى مصطلحات أخرى؛ وهو الخطأ الذي وقع فيه وجعل تلاميذته ينقلون مصطلحات غير مصطلحاته وتختلف من حيث البنية والكيفية التي وُضعت فيها. وكانت من القضايا التي طرحت إشكاليّة وضع المصطلحات في اللّسانيّات الغربيّة لوجود فوضى المصطلحات وتعدّدها بين العلماء؛ والتي امتدّت إلى الاضطراب المصطلحيّ الذي أصاب اللّغة العربيّة في العصر الرّاهن باعتبار أنّ اللّغة العربيّة فقيرة جدّا في تأليف الكتب والمعاجم اللّسانيّة وفي جودة التّرجمة. ورغم الخلافات الموجودة بين فردينان دي سوسور وتلاميذته في وضع المصطلح اللّساني تمكّن سوسور بالتقيّد على المصطلحات

اللّسانية، ومدى تلاؤمها للمفهوم العلميّ؛ ما أدّى إلى ظهور علم المصطلح عند الغرب وتطوّره. كما يؤدّي عامل الخلط والمزج في استعمال المصطلحات وبخاصّة الثّنائيات اللّغوية (الدّال والمدلول) إلى التّأثير السّلبي والخاطئ في كيفيّة استيعاب المحاضرات والنّصوص اللّسانية المرتبطة بمفاهيمها.

3-اتّجاه كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة نحو علم الاجتماع اللّغوي من خلال الآراء النّقدية للبنيويّة اللّسانيّة:

يتجلّى هذا الاتّجاه في محاولة إظهار جان لويس كالفي في كتابه المذكور سلفا ملامح علم الاجتماع اللّغوي من خلال القضايا اللّسانية التي عالجها كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة المنسوب إلى فردينان دي سوسور دون الوصول إلى اكتشاف هذا العلم ووضعه كمصطلح في هذا الكتاب ثمّ التطرّق إلى مجمل الانتقادات التي وجّهها بعض العلماء إلى محتويات هذا الكتاب من وجهة نظر علوم عديدة: علم النّفس، الأنتروبولوجيّة، السيميولوجيّة والتّعليميّة، وعلم الاجتماع، والحديث عن الباحثين الّذين أولوا الأهميّة للجانب الاجتماعيّ، وللبنيويّة اللّسانية للوصول إلى النّتائج المرجوّة في هذا السّبيل؛ وهو ما سنركّز عليه في هذا العنصر. ومن مظاهر ربط اللّسانيات بالعلوم الأخرى التي تخدم" تطوير لسانيّات فردينان دي سوسور ذاتَهَا بذاتِهَا، ودفعِها إلى الانفتاح نحو مجالات معرفيّة أوسع مثل (نظريّة التلفُّظ Enonciation) أو(السوسيولسانيّاتSociolinguistique) أو(تحليل الخطاب Analyse du discours) أو (التّداوليّاتPragmatique) وهي المجالات الّتي اعتبرت بمثابة نقاط ضعف حقيقيّة لا في لسانيّات فردينان دي سوسور وحدها؛ وإنّما في مختلف التّيارات والتوجُّهات الّتي انبثقت عن تصوّراته مليّة"[10]. سننطلق من مفهوم اللّسانيات واللّغة في كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة المنسوب إلى فردينان دي سوسور مرورا بالتطوّرات والانتقادات التي مسّت المجال اللّساني، والبنيويّة إلى غاية ظهور اللّسانيات الاجتماعيّة واستقلاليّتها عن العلوم الأخرى.

وسنأتي إلى تحليل هذه المسألة في الاتّجاه الاجتماعيّ عند لفي ستراوس، وعند أنطوان ميي، والاتّجاه نحو علم الاجتماع اللّغوي عند لابوفLABOV ونكتفي بنموذجين من العالمين نظرا لتشابه العلماء الّذين جاؤوا بعدهما في الاتّجاه، وبعض الاختلافات في أساليب تحليل اللّغة اجتماعيّا.

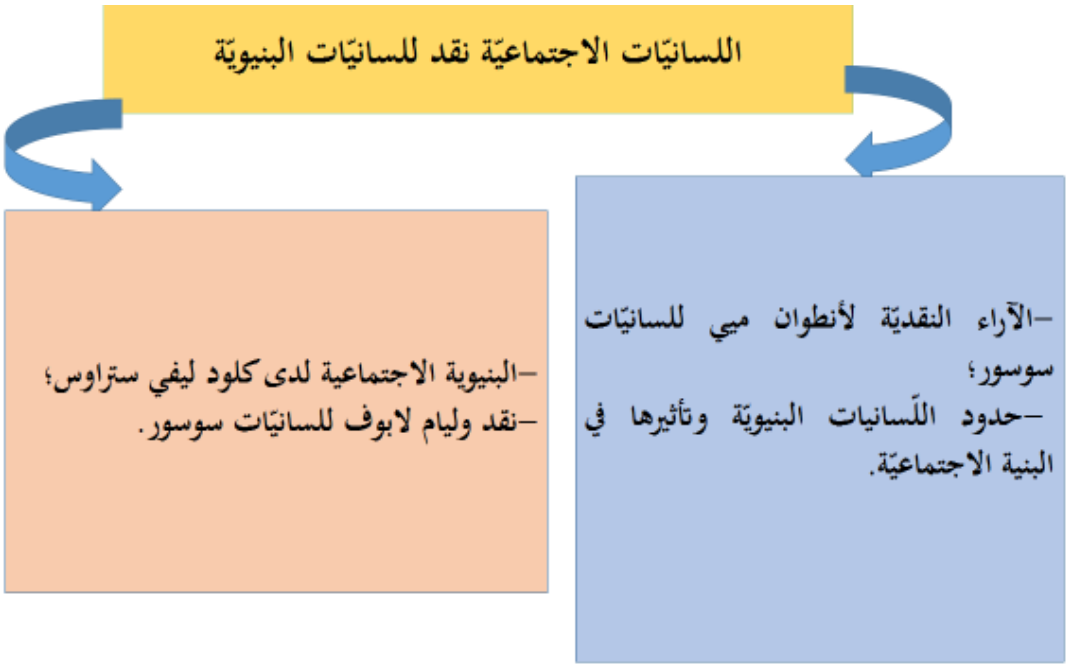

الشّكل 3: آراء النّقاد في اللسانيّات البنيويّة

3-1-حدود اللّسانيات البنيويّة وتأثيرها في البنية الاجتماعيّة:

ونظرا للنّقائص التي يعاني منها كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة، وعدم إعطاء الأهميّة للجانب الاجتماعيّ، وما قدّمته اللّسانيات المعاصرة من مفاهيم ومبادئ حول بناء نموذج لغويّ مجرّد من أيّ رمز غير لغويّ يؤدّي وظيفة التّواصل ونقل الخطاب بين المرسل والمرسل إليه انطلاقا من توظيف أفعال الكلام وأدواته. وتهدف اللّسانيات المعاصرة إلى إنشاء لسانيّات جديدة استمدّت وجودها من اللّسانيات البنيويّة التي ظهرت بعد ظهور كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة والتي تأثرت بآراء هذا الكتاب المنسوب إلى فردينان دي سوسور الذي انتقده دي مورو T. de Mauro بطريقة بنّاءة؛ وهي الطّبعة التي حُقّقت في عام 1974م والتي ترفض إدراج اللّسانيّات في البحث عن اللّسانيّات الإجرائيّة المعقدة في الواقع. وكان فردينان دي سوسور لا ينسب اللّسانيات إلى نفسه ولا يعتبر نفسه أب اللّسانيات الحديثة كما يدّعي البعض؛ ولكنّه اضطرّ أن يعالج اللّغة ويبحث عن جذور اللّغات إثنوغرافيّا دون العناية أكثر باللّغة ومباحثها. وكان يتقن اللّغات الهندأوروبية: اللّغة الفرنسية، اللّغة الإنجليزية، اللّغة الألمانية واليونانية واللاّتينية...الخ.

ويوضّح سوسور مدى أهميّة اللسانيّات والأبحاث المرتبطة بها في كلّ فترة زمنيّة من خلال الرّسالة التي كتبها إلى العالم أنطوان ميي وهي كالآتي: "أنّ اللّسانيات العامّة عبارة عن أداة ضروريّة؛ فهي وسيلة وليست غاية؛ وأنّ المحاضرات ما هي إلاّ أبحاث خاصّة بهذه الأداة التّواصلية والتّبليغيّة"[11]. وليست القضيّة المطروحة في اللّسانيّات قضيّة نسب المحاضرات اللّسانيّة إلى فردينان دي سوسور؛ بل تمّ الفصل في القضيّة من خلال الأبحاث التي قدّمها لنا كلّ من قوديل GODEL وأنجلير ENGLER. فلا يهمّنا البحث عن سوسور كرجل لسانيّ أو باحث

لغويّ في اللّغات؛ لأنّ ما يهمّنا هو البحث عن اللّسانيّات الإبيستيمولوجيّة وعن نشأة اللّسانيّات ووصف مجمل التطوّرات التي تحدثها اللّسانيات في العصر المعاصر. وما يهمنّا أكثر دراسة هذا الافتراض الذي يبحث عن تحديد مكانة فردينان دي سوسور في نشأة اللّسانيّات وتأسيس العلم والبحث عن جذوره والذي يعود "إلى عام 1857 عندما قدّم سوسور محاضرته الثّالثة حيث تحدّث عن كيفيّة تطوّر اللّغات عبر العصور والأزمنة وعن مكانة محاضرات في اللّسانيّات العامّة في تكوين اللّسانيّات المعاصرة التي ظهرت نتيجة التطوّر المذهل لفكر الإنسان والعلوم مع ظهور كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة ثمّ البنيويّة الأروبيّة والمدرسة الفنولوجيّة الوظيفيّة لحلقة براغ إلى غاية تطوّرها إلى البنيويّة الوظيفيّة عند أندري مارتيني مرورا بلسانيّات إيمسلاف الّذين كانوا يدّعون أنّ اللّسانيات منبثقة من مذهب سوسور؛ وهو الخطأ الذي وقعوا فيه لأنّهم كانوا يربطون المذاهب اللّسانية التي ظهرت بعد ظهور كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة بلسانيّات سوسور؛ والذي كان من أتباعه: جورج مونينGEORGE MOUNIN وموروMAURO؛ وكان الأمر مناقضا للادّعاء السّابق؛ وكان لظهور المدارس اللّسانية الأمريكيّة أو البنيوية الأمريكيّة أهميّة قصوى في تطوّر اللّسانيات الحديثة وتناقض ما جاءت به اللّسانيات المنسوبة إلى سوسور ماعدا اللّساني الأمريكي بلومفيلد الذي أشار إليه في كتابه اللّغة le langage. وهو ما لم يكن يستوعبه أنطوان ميي المخالف لآراء سوسور مقابل ما ذكره بلومفيلد في كتابه"[12].

كما يرى مؤلّفا كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة المنسوب إلى فردينان دي سوسور أنّ العنصر الذي يحافظ على العلم؛ أي اللّسانيات هو "اللّغة وماعدا ذلك فلا وجود لأيّ عنصر يستطيع أن يحلّ محلّ اللّغة؛ كموضوع للسانيّات التي يحدّدها إبيستيمولوجيّا ومعرفيّا"[13] ومع تطوّر اللّسانيات البنيويّة التي تهتمّ بتجديد المفاهيم المستمدّة من المفاهيم السّوسورية لجأت المدارس اللّسانية وبخاصّة مدرسة حلقة براغ إلى أخذ المصطلحات من كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة التي تنطلق من عنصرين هامّين هما: البنية والتّواصل؛ كون أنّ أفكار سوسور ثابتة لم تشهد أيّ تطوّر بسبب تعدّد المصطلحات اللّسانية (الثّنائيّة المصطلحيّة) حسب رأيه.

وكان الاضطراب الذي أصاب فردينان دي سوسور في كتاباته هو نفس الاضطراب الذي أصاب اللّسانيّات الحديثة التي ربّما لم تكن منسوبة إلى سوسور؛ وأنّ نفي وجود اللّسانيات كعلم مستقل بذاته هو الأمر الذي لفت انتباه فردينان دي سوسور ليدرس اللّغات الهندأروبيّة دراسة تاريخيّة وهو ما ذكره في الكرّاسات التي وضعها. ونلاحظ أنّ فردينان دي سوسور لم ينطلق من مبادئ وأسس اللّسانيات العامّة لاستنباط المنهج التّاريخي الذي طبقه على اللّغات الهندأروبيّة، بل انطلق من المنهج التّاريخي نفسه لاستنباط مبادئ اللّغة عامّة. كما كان "تقديم اللّسانيين المحاضرات في عام 1891 أثر كبير في تغيير مسار اللّسانيات التي يتضمنها كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة المنسوب إلى سوسور"[14] ويعود ذلك التطوّر إلى تلك الأعمال التي سجّلت في كتاب محاضرات

في اللّسانيّات العامّة وإلى النظريّات الأولى الواردة في هذا الكتاب التي كانت تعالج اللّغة عامّة دون الذّهاب إلى معالجة اللّغات السّلافية خاصّة؛ والتي تشكّل موضوع الدّراسة في هذا الكتاب. وتهدف البنيويّة إلى العناية ببنية اللّغة فحسب دون ربط اللّغة بالمجتمع وبالمؤثرات الاجتماعيّة حسب إيمسلاف وأندري مارتيني وغيرهما. وهو ما يؤكّده هذا الأخير في قوله: "ترتبط البنيويّة في العصر الحاضر بالدّراسة الآنية ولا تقترب أبدا إلى الدّراسة الاستبطانيّة"[15] وهي تبتعد عن علم النّفس وعن علم الاجتماع المرتبطين بالدّراسات التّاريخيّة التي أشار إليها كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة عكس البنيويّة التي ترتبط كلّ الارتباط بالآنية التي تُدرس فيها اللّغة دراسة آنية في فترة زمنيّة محدّدة من حيث وصف الأحداث اللّغوية. كما يعرّف اللّغة على أنّها: "مؤسّسة اجتماعيّة وإنسانيّة"[16] وأمّا علم النّفس فيرتبط بالمنهج الاستبطانيّ وبالفرد بينما يرتبط علم الاجتماع بالمجتمع فقط. ويوضّح أ.مارتيني صاحب أنطوان ميي أنّ سوسور "لم يطلّع لا على أعمال سيقموند فرويد النّفساني FREUD في علم النّفس، ولا على أعمال عالم الاجتماع بول بورجي PAUL BOURGET. كما لم يكن على اطّلاع بكارل ماركس الاجتماعيّ ودوركايم DURKHEIM اللّذين عاصرهما ولا عمّا أنجزه ريش REICH إلى غاية لاكان LACAN في البورجوازيّة الاجتماعيّة"[17]. وبهذا الشّكل تكون اللّغة بعيدة عن الممارسة الاجتماعيّة ومجرّدة من المجتمع الذي توظف فيه. ويقول أ.مارتيني: "اللّغة أداة تواصل وتفاهم بين أفراد المجتمع التي تخضع إليها التّجربة البشريّة القابلة للتّحليل؛ والتي تختلف من جماعة إلى أخرى حسب الأساليب التّعبيريّة التي توظّفها تلك الجماعات".[18] وتكوّن اللّغة حدثا اجتماعيّا ووسيلة يتواصل بها أفراد المجتمع أو الأداة التي تقوم على إنتاج النّشاط اللّغوي لدى الفرد ولدى الجماعات الاجتماعيّة التي تتعايش في مجتمع واحد. وهو المفهوم الذي يميل إليه كلّ من ستالين وأنطوان ميي ولابوف وإدوارد سابير وفندريس وغيرهم من العلماء الغربيّين الذين طوّروا مناهج تحليل اللّغة اجتماعيّا. ولذا جاء هؤلاء العلماء لينتقدوا ثنائيّات كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة المنسوب إلى فردينان دي سوسور للوصول إلى وضع مبادئ للعلاقة الظّاهرة بين اللّغة والمجتمع.

3-2-تأسيس البنيويّة الاجتماعيّة أو ما أسماه بالبنيويّة الأنتروبولوجيا لدى كلود ليفي ستراوس (1908-2009م):

ظهرت البنيويّة الأنتروبولوجيّة نتيجة مساهمة العلوم السّابقة منذ العصر الوسيط؛ كالفلسفة والمنطق، وعلم النّفس، وعلم الاجتماع في نشأة اللّسانيّات الحديثة وفي بلورة وتشكيل علوم جديدة انبثقت من هذا العلم الشّامل الّذي تشكّل فيه اللّغة الموضوع الوحيد لهذا العلم. ومن هنا حاول العلماء أن يربطوا اللّسانيّات بالعلوم الأخرى؛ وهذا كلود ليفي ستراوس (1908-2009م) يقول: "يحتلّ علم اللّغة مكانا ممتازا في مجمل العلوم الاجتماعيّة التي ينتمي إليها بلا ريب، فهو ليس علما اجتماعيّا كالعلوم الأخرى، بل العلم الّذي قام بأعظم الإنجازات، وتوصّل إلى صياغة منهج وضعيّ، ومعرفة الوقائع الخاضعة إلى تحليل في وقت واحد، وهو بلا ريب يستطيع المطالبة

باسم العلم"[19] يرى أنّ علما يعالج قضايا اللّغة في طور الإنشاء؛ وأنّ هذا العلم يعتمد المنهج الوصفيّ الذي يصف اللّغة كما هي في الواقع وفي فترة زمنيّة محدّدة. كما يقول أيضا عن علاقة اللّغة بثقافة المجتمع والأساطير وبالتّقاليد وعلى أنّها: "حرص الأنتروبولوجيا في اتّباع الطّريق المؤدّية إلى المعرفة الوضعيّة للوقائع الاجتماعيّة من علم اللّغة الحديث"[20] يبيّن ليفي ستراوس مدى ارتباط الأنتروبولوجيا وعناصرها باللّغة ومكوّناتها محاولا تحقيق التّماثل بين اللّغة والأنتروبولوجيا. ويرى أيضا أنّ "صيغ التّعبير الثّقافي الأخرى، كأنظمة القرابة وأنواع الفولكلور، منظمة مثل لغة بشريّة. ولقد طوّر ليفي ستراوس هذا القياس ثقافة/ لغة انطلاقا من نظريّة السّمة المميزة التي قدّمها جاكبسون"[21] يعتبر ستراوس اللّغة الأداة الأساسيّة في تشكيل الثّقافة الاجتماعيّة التي تحيط بالمجتمع الذي لا يمكن عزله عن اللّغة؛ وهذا دليل على أنّه تأثّر بالعالم الاجتماعي دوركايم وبديكارت، وربط الدّراسات الاجتماعيّة بتطبيق المعرفة والمناهج اللّسانية التي استمدّها من الكتاب المنسوب إلى فردينان دي سوسور، وإلى أتباعه وبخاصّة اعتماده الفنولوجيا لتحليل الظّواهر الاجتماعيّة في قوله: "إنّ الفونولوجيا لا يمكن أن تتخلّف عن القيام إزاء العلوم الاجتماعيّة بالدّور المحدّد الّذي قامت به الفيزياء النّووية"[22] يريد أن يربط الوحدات الصّوتية الوظيفية بالبنية الاجتماعيّة ومدى أهميّتها في تشكيل المؤسّسات الاجتماعيّة المتباينة رغم أنّ عدد الأصوات ورموزها محدودة العدد وأنّها بإمكان اللّغة أن تبني علوما جديدة كالعلوم الفيزيائيّة النّووية والرّياضيات والطّب وغيرها. كما تقوم الأنتروبولوجيا على مفهوم التّواصل والاحتكاك بين الثّقافات والأمم؛ وهذا يؤثر حتما في تبادل التّواصل بين الأفراد على مستوى اللّغة؛ وأنّ التّواصل اللّغوي يخدم التّواصل الاجتماعيّ الذي يهدف إلى تكوين الوحدة بين أفراد المجتمع. ويظهر أنّ الدّراسة البنيوية لعناصر الأنتروبولوجيّة تنطلق من مبادئ البنيويّة اللّسانية التي تضاهيها من حيث الوظائف والأدوار التي تقوم عليها اللّغة في النّظام الاجتماعيّ الّذي يوضّح لنا مدى ارتباط علم الاجتماع باللّغة وبمستوياتها قائلا: "يتداخل موقف عالم الاجتماع ذاته بموقف العالم الفونولوجيّ كون أنّ هناك عناصر مشتركة بين الإثنين؛ هناك مفاهيم وظواهر اجتماعيّة مرتبطة بالمفاهيم اللّسانيّة التي لا يمكن عزلها عن هذه الظّواهر التي تعدّ أنظمة من نظام اللّغة وبخاصّة الجانب الصّوتي للغة الذي لا يمكن فصله عن الأنساق الاجتماعيّة الرّاسخة في الذّهن بشكل غير إرادي"[23] وانطلاقا من هذا التّماثل المتبادل علميّا بين الأنتروبولوجيا واللّغة وما استفادته الأنتروبولوجيّة من اللّغة ومن اللّسانيّات البنيويّة فإنّ الأنتروبولوجيّا أصبح يعالج من منظور المناهج البنيويّة الحديثة وهو المؤسّس لعلم الاجتماع اللّغوي.

3-3-نقد أنطوان ميي MEILLET(A) (1866-1936م) لآراء سوسور اللسانية:

قبل الذّهاب إلى ما توصّل إليه لابوف في دراسته، أودّ أن أتحدّث قليلا عن مجهودات أنطوان ميي في ترسيخ البعد الاجتماعيّ للسانيّات الحديثة كانطلاقة للدّراسة التي طوّرها لابوف في هذا العلم حيث نجح في وضع وتأسيس علم الاجتماع اللّغوي.

كان أنطوان ميي ANTOINE MEILLET (1866-1936) أحد اللّسانيين الغربيّين الذين اتّخذ المنحى الاجتماعيّ الدّوركايميّ كأساس لدراسة اللّغة. وكان من بين العلماء الذين انتقد كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة. وكان يدعو بدوره إلى التّجديد في اللّسانيات العامّة وتطويرها حيث ذهب إلى ما ذهب إليه [24] كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة من حيث تعريف اللّسانيات على أنّها: "دراسة اللّغة في ذاتها ولذاتها" تقوم اللّسانيّات كعلم شامل للفروع اللّغوية (علم الأصوات، علم النّحو وعلم الصّرف وعلم التّراكيب وعلم الدّلالة) على العناية باللّغة في كيانها الدّاخلي من حيث دراسة بنية اللّغة من النّاحية الصّوتية والصّرفية والنّحوية بغض النّظر عن المستوى الدّلالي الذي يرتبط بالكيان الخارجي الذي تتدخل فيه العوامل الاجتماعيّة وتؤثر فيه.

إنّ نظرة أنطوان ميي إلى اللّغة "من منظور اجتماعيّ كان نتيجة للنّظرة الاجتماعية للغة التي يقرّها بها كلّ علماء اللّغة الاجتماعيين الذين سبقوه أمثال إميل دوركايم"[25]، علما أنّ اللّغة في نظر مييه "حدث اجتماعيّ متميّز عن باقي الأحداث الاجتماعيّة لاعتبارات كثيرة مرتبطة بالتّأثير الاجتماعيّ الواضح الذي تشكله اللّغة من ناحية ولما للغة من دور أساسي ضمن الدّينامية الاجتماعيّة حينا آخر"[26]، ولعلّ كون مييه من اللّغويين المشتغلين على الدّراسات اللّسانية المقارنة فإنّه يعتبر الدّراسة اللّسانية الحقيقية هي التي تجمع بين ما هو تاريخيّ وآني، وأمّا ما نادى إليه هو أنّ اللّغة جزء فاعل في تركيبة المجتمع فهي ظاهرة اجتماعيّة في حقيقتها وليست فردية. نميّز ممّا ذهب إليه مييه في نظرته الاجتماعية للغة عندما يقرّ بصعوبة تسجيل اللّهجات فيقول: « فإذا كان الأمر يتعلق بلغة محلية، نجد أنّ الأشخاص الذين يستخدمونها محرومون عادة من كلّ ثقافة لغوية يصفونها، أمّا الأجانب ففضلا عن أنّهم يفهمونها فهما غير كامل، مع تفاوتهم في ذلك، فإنّهم يجدون مشقة في تمييز الأشخاص الذين يتكلّمونها على نحو عادي، بل إنّهم عندما يعثرون على هؤلاء الأشخاص لا يستطيعون بسهولة أن يأخذوا عنهم المعلومات اللاّزمة، وذلك لأنّ هؤلاء الأشخاص أنفسهم لا يدركون الطّريقة التي يتحدّثون بها على وجه دقيق»[27] ليكن بذلك علم اللّغة التّاريخي ذا مكانة محورية في البحث اللّغوي وفي البحث الاجتماعيّ على السّواء. كما يبرز أنطوان مييه مبدأ التّوازن بين التطوّر الاجتماعيّ والتطوّر اللّغوي، وعلى هذا فإنّ دراسته للهجات تندرج ضمن بحوثه اللّسانية الاجتماعيّة. فأهمّ ما نقرأه في طروحات مييه أنّ الدّرس اللّساني العام ما هو إلاّ جزء من اللّسانيات الاجتماعيّة وذلك لاعتبارين أهمّهما: الأوّل أنّ اللّغة حدث اجتماعيّ والثّاني أنّ كلّ بحث في اللّغة بمعزل عن الظّواهر الاجتماعيةّ نظرة تبقى قاصرة لأنّها لا تشتمل على عناصر الظّاهرة اللّغوية كاملة.

3-4-نقد وليام لابوف (و1927م) لكتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة:

يرى الباحث الأمريكي وليام لابوف عن علم الاجتماع اللّغوي أنّه "يشكّل أحد علوم اللّغة الذي جاء بنظريات ودراسات ميدانيّة جديدة لم يعهد إليها العلماء من قبل. ويعدّ وليام لابوف William Labov "مؤسّس هذا العلم الذي يخدم تماما مجال اللّسانيّات أي اللّسانيات العامّة"[28]. وجاءت دراسته ردّا على لسانيّات سوسور وعلى آراء كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة المنسوب إلى فردينان دي سوسور وانتقادا للبنيويّة السّوسوريّة والأروبيّة وللمدارس اللّسانية التي انبثقت من المذهب البنيوي السوسوريّ. كما كان لابوف ينتقد أفكار كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة الذي لم يدرس مؤلفوه اللّغة من وجهة نظر اجتماعيّة، بل كانوا يهتمّون بربط اللّغة بالكيان الدّاخليّ وما يمسّ الأحداث اللّغوية ذاتها دون ربطها بالعوامل الخارجيّة لها؛ ولم يكونوا يميلون إلى الاتّجاه اللّساني الذي تحدّث عنه الباحث أنطوان ميي Antoine Meillet؛ والذي حدّد اللّغة على أساس أنّ اللّغة هي "معرفة السّلوك الاجتماعيّ"[29] تلعب اللّغة دورا كبيرا في وصف المجتمع وحركاته والتطوّرات التي ينشئها الأفراد لتطوّر فكر الإنسان وظهور العلوم والمنشآت الجديدة. وتتمثل الانتقادات التي وجّهها لابوف لكتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة والذي انطلق من الفصل بين الثّنائيات اللّغوية المذكورة في الكتاب وهي: الفصل بين اللّغة والكلام واللّسان، والتّمييز بين الآنية (السّنكرونيّة) والزّمانية (الدّياكرونية) وذلك للكشف عن الطّابع الاجتماعيّ الذي تتحلّى به اللغة (مفهوم مصطلح الاجتماعيّ عنده في كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة المنسوب إلى سوسور...الخ) وعلاقته باللّغة وبالامتداد اللّسانيّ المعاصر.

ننتقل إلى آراء لابوف الذي يميل إلى آراء أنطوان ميي من حيث عنايتهما بالعنصر الاجتماعيّ كعامل للتطوّر اللّغوي رغم أنّهما يختلفان في طبيعة اللّغات التي طبقت عليها الدّراسة الميدانية. استعان ميي باللّغات الميّتة كاللّغة اللاّتينية واللّغات الهندأروبيّة للبحث عن تاريخ تلك اللّغات في حين لجأ لابوف إلى دراسة اللّغة الإنجليزية الأمريكية ومقارنتها بين الشّمالية والجنوبيّة باعتبارها لغات حيّة متعايشة في مجتمع أمريكي؛ والتي امتدّت إلى رقع جغرافية واسعة مع التطوّر التّكنولوجي الحالي أصبحت اليوم لغة العولمة والأولى عالميّا.

نعود إلى الانتقادات التي قدّمها لابوف حول آراء كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة وما جاء به هذا الكتاب من أفكار في اللّغة وإشارات حول الكيان الاجتماعيّ للغة.

جاء تعريف اللّغة في كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة على أنّ "اللّغة هي الموضوع الوحيد القابلة للتّحليل اللّسانيّ بمستوياتها المتجانسة فيما بينها والقابلة للتّحليل الإثنولوجيّ؛ والتي تختلف عن اللّغات الأخرى التي تنتمي إلى مجتمع ما ذي أصول وسلالة ما وهو يحمل طابعا إثنوغرافيا معيّنا"[30] تكمن دراسة اللّغة في علاقتها بالإنسان وحضارته التي تتطوّر في حقب تاريخيّة مختلفة؛ وبواسطتها تتكوّن إثنيّة كلّ مجتمع. جاءت اللّسانيّات العامّة لتبيّن أنّ "اللّغة هي التي تحدّد استقلاليّتها من حيث مفهومها واستقلاليّة العلم الذي تنتمي إليه. ولا تتأتّى

هذه الاستقلاليّة العلميّة إلاّ إذا كانت اللّغة قادرة على التّحليل اللّساني لبنية اللّغة بالانتقال من الكلّ إلى الجزء عن طريق الاستقراء والتّصنيف للوحدات اللّغوية"[31]. وتمثّل اللّغة نظاما من الوحدات اللّغوية المنتظمة بعضها البعض بحيث لا يمكن عزل وحدة لغويّة عن أخرى وإلاّ فسدت ملكة اللّغة التي تتصف بخصائص صوتيّة وصرفيّة ونحويّة وتركيبيّة سليمة من حيث قواعدها المضبوطة في مختلف مستوياتها اللّغوية والدّلاليّة.

ويضيف سوسور قائلا: "إنّ التطوّر الهائل والانتشار السّريع للمصطلحات اللّسانية وعدم استقرارها والفوضى المصطلحيّة العارمة المتدفقة في العصر الحديث والعاجزة على مسايرة الرّكب الحضاريّ؛ هي من الأسباب التي آلت إلى عدم عنايتي باللّغة والحرص عليها للكشف عن أسرارها وعن المباحث التي تقوم عليها تلك اللّغة"[32] ويبدو أنّ سوسور لا ينسب اللّسانيّات إلى نفسه ولا يجعل نفسه أب اللّسانيّات الحديثة، بل وجد نفسه يبحث عن اللّغة وعن أصولها إثنوغرافيا لا أكثر دون أن يهتمّ باللّغة عامّة ويضع قوانين تشمل تلك اللّغة مع أنّه كان يتقن اللّغات الهندأروبيّة (الفرنسيّة، الإنكليزيّة، الألمانيّة، اللّغة اليونانيّة واللاّتينيّة) واللّغة السّنسكريتيّة التي درسها دراسة تاريخيّة من حيث الجانب النّظري للغات والجانب التّطبيقي لها. كما عارض سوسور نظرية فريدريش موليرFRIEDRICH MULLER في قوله: "وفي عام 1891، انتقد سوسور فريدريش موليرإثر تقديمه لمحاضرة في كليّة الآداب بجونيف (سويسرا) حول كيفية وضع قواعد للغة عامّة"[33] نفهم من هذا القول إنّ فردينان دي سوسور ليس ضدّ العناية باللّغة العامّة، بل بالعكس يدعو حتّى إلى بيان القوانين اللّغوية التي تتأسّس عليها. وتتضّح الفكرة أكثر في قول الباحث أنجليرENGLER: "لم يكن الباحث فريدريش موليرمن جامعة فيانا يدرس كلّ لغات العالم أو لهجاتها أو ما يتعلّق بالتّنوعات اللّغوية المنتشرة في العالم، ولكن أسماء من الأعلام في العالم تمكّنوا من التّمييز بين اللّغة والكلام واللّسان فدرسوا اللّغة الرّومانية كـ: الباحث قسطونGASTON في باريس وبول مايير PAUL MEYER وشوشاردت M.SCHUCHARDT فظهرت نخبة من العلماء الجرمانيين مثل: بول هرمانPAUL HERMAN وأعلام من المدرسة الرّوسية والسّلافية كـ: بودوان دي كورتيني M.N.BAUDOIN DE COURTENAY، كروزيفسكيKRUZEWSKI "[34]. لم يكن سوسور الأوّل أو كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة المنسوب إلى فردينان دي سوسور هو الأوّل في البحث عن اللّغة العامّة، بل هناك علماء حرصوا كثيرا على تلك المسألة ووضعوا مفاهيم أساسيّة للغة وللسانيّات الحديثة يقتضي التحري والبحث في الميدان من أجل بناء أسس علميّة دقيقة تنطبق على كلّ لغات العام ونظريّات تخدم اللّغة من ناحية وتطوّر اللسانيّات إلى مسارات أخرى أكثر حداثة وفائدة لمجالات الحياة الانسانيّة والاجتماعيّة.

خاتمة:

قمنا في هذه الورقة البحثيّة بعرض آراء سوسور اللسانيّة في كتابه محاضرات في اللسانيّات العامّة التي كتبها تلميذاه آلان بالي وسيشهاي بعد وفاته في عام 1916م. ونظرا للنّقائص التي تعاني منها المحاضرات من حيث التّرتيب المنطقي لها ومن حيث فهرسة موضوعاته. كما تطرقنا إلى قضايا المنهج وعلاقته باللسانيّات وبدراسة اللّغة؛ ثمّ تطرّقنا إلى البحث عن مصادر الكتاب وخلفياته وقضاياه. وبعد ذلك انتقلنا إلى معالجة العنوان الرّئيسي اتّجاه كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة نحو علم الاجتماع اللّغوي من خلال الآراء النّقدية للبنيويّة اللّسانيّة حيث عرضنا آراء أنطوان ميي حول لسانيّات سوسور وتحدّثنا عن تأسيس البنيويّة الاجتماعيّة أو الأنتروبولوجيّة عند ليفي ستراوس وفي الأخير تطرّقنا إلى الآراء النّقدية للسانيّات البنيويّة عند الباحث الأمريكي وليام لابوف.

وانطلاقا من المعطيات اللسانيّة واللسانيّات الاجتماعيّة التي وضّحناها من خلال هذه الانتقادات لآراء سوسور اللسانيّة، نتوصّل إلى وضع مجموعة من النّتائج والاقتراحات أهمّها:

النّتائج:

-شكّ الباحثين الأروبيين في نسب كتاب محاضرات في اللسانيّات العامّة لفردينان دي سوسور من حيث اقتصاره على إلقاء المحاضرات شفاهيّا؛

-نقل تلاميذة سوسور (بالي وسيشهاي) لمحاضراته التي نشرت في الكتاب المنسوب إلى سوسور في عام 1916م؛

-رأي قودال حول نشر بعض المحاضرات وهي قليلة في الكتاب؛

-اعتراف قسطنطين بجمع تلاميذة سوسور للمحاضرات وبجهدهما؛

-نقد رودلف إنغلر لكتاب محاضرات في اللسانيّات العامّة المنسوب إلى سوسور؛

-عدم تجانس مواد دراسة القضايا اللسانيّة وترتيبها في الكتاب بشكل منطقي؛

-اختلاف الفترات الزمنية التي ألقى فيها تلك المحاضرات من سنة إلى أخرى؛

وجود فوارق بارزة بين الكتاب المنسوب إلى سوسور وما كتبه المحرّرون وتلاميذته؛

-التّباين الجوهري الظّاهر في طرح القضايا اللسانيّة، وفي المصطلحات واضطرابها، -تقيّد مفهوم اللّغة في إطارها البنيوي دون ربطها بالعوامل الخارجيّة؛ وبخاصّة العامل الاجتماعيّ؛

-انطلاقه من المنهج التاريخي لتحليل اللّغة دون الوصفيّ؛

-نقد الأنتربولوجيين، وعلماء الاجتماع، وعلماء النّفس لآراء سوسور اللسانيانية؛

-موقف ليفي ستراوس من لسانيّات سوسور؛

الاقتراحات:

-العناية بجمع كلّ المخطوطات التي تركها سوسور ثمّ دراستها ومعالجتها؛

-التّأكد من صحّة نسب الكتاب إلى سوسور بأدلة غير خاضعة للذّاتية والنّرجسيّة؛

-الدّعوة إلى جمع كلّ الكتب اللسانيّة الغربيّة التي ظهرت بين ما بعد فترة وفاة سوسور، وفي فترة ظهور اللسانيّات البنيويّة؛

-المقارنة بين مضمون المخطوطات اللسانيّة السوسوريّة والمخطوطات حول اللسانيّات العامّة منذ ظهورها إلى فترات نقلها في الكتب؛

-الوقوف عند ترجمة الكتب السوسوريّة واللّسانيّات العامّة إلى لغات العالم ثمّ البحث في قضاياها، ومناهجها ومصطلحاتها.

-الاهتمام بربط اللسانيّات البنيويّة باللسانيّات الاجتماعيّة؛

-العناية بالمدارس اللسانيّة الحديثة ودورها في تأسيس اللسانيّات الاجتماعيّة.

-التّفكير في عقد الملتقيات والمؤتمرات في الدول الغربيّة والعربيّة حول سوسور وأعماله واللسانيّات العامّة؛

الهوامش:

[1]-فرديناند دي سوسور . تر: يوسف غازي ومجيد النّصر، محاضرات في الألسنية العامة، ط 1، المؤسّسة الجزائرية للطباعة، الجزائر: 1986، ص 3-17.

[2]- مصطفي غلفان، لسانيّات فرديناند دي سوسور في سياق التّلقي الجديد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان:2017 ، ص 87.

[3]- المرجع نفسه، ص 87.

[4]- فرديناند دي سوسور . محاضرات في الألسنية العامّة، ص 55.

[5] -LOUIS JEAN CALVET(S.D) pour et contre SAUSSURE vers une linguistique sociale, PARIS, édition PAYOT, p31.

[6]-(F) SAUSSURE, Le Cours de linguistique générale (réédité régulièrement chez Payot: la meilleure édition critique est celle de T. de Mauro, toujours chez Payot, 1974, p317.

[7]-المرجع نفسه، ص 55.

[8]- وعاطف فضل، مقدمة في اللّسانيات، ط 1، دار الرّازي، الأردن: 2005، ص 27.

[9]- LOUIS JEAN CALVET(S.D) pour et contre SAUSSURE vers une linguistique sociale, P 26.

[10]- مصطفى غلفان، لسانيّات فرديناند دي سوسور في سياق التّلقي الجديد، ص61.

[11]- LOUIS JEAN CALVET(S.D) pour et contre SAUSSURE vers une linguistique sociale, p54.

[12]-IDEM, p 57, 58.

[13]- F.SAUSSURE(1974), cours de linguistique générale, édition critique préparé par Tullio de Mauro, édition PAYOT, p 30-38.

[14]- LOUIS JEAN CALVET(S.D) pour et contre SAUSSURE vers une linguistique sociale, p53.

[15]-A.MARTINET(1964), élément de linguistique général, p6.

[16]- IDEM, p6.

[17]-LOUIS JEAN CALVET(S.D) pour et contre SAUSSURE vers une linguistique sociale, p63.

[18]- A.MARTINET(1964), élément de linguistique général, PARIS, p65.

[19]–ليفي ستراوس، كلود، الأنتروبولوجية البنيوية، تر : مصطفى صالح، د.ط. دمشق: 1977، منشورات وزارة الثّقافة والإرشاد القومي، ج1، ص 49.

[20]–المرجع نفسه، ص 49.

[21]–ليتش، إدموند، كلود ليفي ستراوس، تر: ثائر ديب، ط1. دمشق: 2002، منشورات وزارة الثّقافة، ص 30.

[22]– ليفي ستراوس، كلود، الأنتروبولوجية البنيوية، ص 52.

[23]-LEVI-STRAUSS CLAUDE (2012) anthropologie structurale. France : éd, Pocket, pp 46, 47.

[24]– فردينا ندي فردينان دي سوسور ، دروس في الألسنية العامة، تر: محمد شاوش وصالح القرمادي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985، ص24.

[25]– أ نطوان مييه واحد من أهم علماء اللغويات الفرنسيين في النصف الأول من القرن العشرين بدأ مييه دراساته في السوربون وتأثر هناك ميشال بريال وفردينان دي سوسور.

[26]-(A) MEILLET, l'état actuel des études de linguistiques générales; leçon inaugurale au collège de France, 13 février 1906 : repris dans linguistique historique et linguistique générale. PARIS: champion, 1921, cité ici dans la rédaction de 1965, p17.

[27]--(A) MEILLET, Compte rendu du cours de linguistique générale de Ferdinand De SAUSSURE, bulletin de la société linguistique de PARIS, p166.

[28]-(W) LABOV (1976), la sociolinguistique. PARIS : les éditions de minuit, p258.

[29]-IDEM, p 259.

[30]- LOUIS JEAN CALVET(S.D) pour et contre SAUSSURE vers une linguistique sociale, p49.

[31]- (F) SAUSSURE (1974), Le Cours de linguistique générale (réédité régulièrement chez Payot: la meilleure édition critique est celle de T. de Mauro, toujours chez Payot, p 25, 314.

[32]- IDEM, p25, 314.

[33] -FRIEDRICH MULLER cité dans: LOUIS JEAN CALVET(S.D) pour et contre SAUSSURE vers une linguistique sociale, p51

[34]-RUDOLF ENGLER, et édition critique du CLG (1967-1974), fasc 4, cahiers Ferdinand de Saussure, Wiesbaden, p4.

قائمة المراجع:

باللّغة العربيّة:

- ليتش ،كلود ليفي ستراوس، تر: ثائر ديب، ط1. دمشق: 2002، منشورات وزارة الثّقافة، ص 30.
- – فردينا ندي فردينان دي سوسور، دروس في الألسنية العامة، تر: محمد شاوش وصالح القرمادي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985، ص24.

- –فردينان دي سوسور. تر: يوسف غازي ومجيد النّصر، محاضرات في الألسنية العامة، المؤسّسة الجزائرية للطباعة، ط 1، الجزائر: 1986، ص 3–17.
- – كلود ليفي ستراوس، الأنتروبولوجية البنيوية، تر: مصطفى صالح، د.ط. دمشق: 1977، منشورات وزارة الثّقافة والإرشاد القومي، ج1، ص 49.
- – مصطفي غلفان، لسانيّات فردينان دي سوسور في سياق التّلقي الجديد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان: 2017، ص 87.
- – وعاطف فضل، مقدمة في اللّسانيات، دار الرّازي، ط 1، الأردن: 2005، ص 27

باللّغة الأجنبيّة:

-(A) MEILLET, l'état actuel des études de linguistiques générales; leçon inaugurale au collège de France, 13 février 1906 : repris dans linguistique historique et linguistique générale. PARIS: champion, 1921, cité ici dans la rédaction de 1965, p17.

-(A) MEILLET, Compte rendu du cours de linguistique générale de Ferdinand De SAUSSURE, bulletin de la société linguistique de PARIS, p166.

-A.MARTINET(1964), élément de linguistique général, PARIS, p65.

- CLAUDE LEVI-STRAUSS (2012) anthropologie structurale. France : éd, Pocket, pp 46, 47.

-(F) SAUSSURE, Le Cours de linguistique générale (réédité régulièrement chez Payot: la meilleure édition critique est celle de T. de Mauro, toujours chez Payot, 1974, p317.

-FRIEDRICH MULLER cité dans: LOUIS JEAN CALVET(S.D) pour et contre SAUSSURE vers une linguistique sociale, p51

-LOUIS JEAN CALVET(S.D) pour et contre SAUSSURE vers une linguistique sociale, PARIS, édition PAYOT, p31.

-RUDOLF ENGLER, et édition critique du CLG (1967-1974), fasc 4, cahiers Ferdinand de Saussure, Wiesbaden, p4.

-(W) LABOV (1976), la sociolinguistique. PARIS : les éditions de minuit, p258.